الصليبُ سرُّ نقضِ جدارِ العداوة

"أنتم الذين كنتم من قبلُ بعيدين
صرتم بدم المسيح قريبين" (أف ٢: ١٣)

مقدّمة

"فإنّه هو سلامنا، هو جعل الاثنين واحدًا، وفي جسده نقض الجدار الفاصل بينهما، أي العداوة..." (أف ٢: ١٤). ولكن أيُّ سلامٍ هو هذا؟ هو السلام الغائبُ دومًا، هو سلامٌ أضاعه عالمنا، أبدله بمنطقِ العنفِ، والحرب، بمنطق الإرهاب والقمع، بمنطق الخوفِ والقلق. قلبُنا صار في حالةِ هلعٍ دائم: نخاف من كلِّ شيء، ومن كلِّ إنسان. نخشى العلاقات مع الآخرين لأنّ منطق الآخر تحوَّل من منطق القريب الذي أحيا معه، إلى منطق الغريب الحامل الخطر والأذيّة.

لكن بقوله "المسيح هو سلامنا"، يعلن الرسول بولس أنّ حياتنا كمسيحيِّين هي إيمانٌ مُطلق بمنطق السلام، لأنّ إلهنا هو السلامُ بالذات. ربّما كلماتٌ نجدها اليوم دون معنى، نظنّها وهمًا ونظريّة مستحيلة التطبيق، لأنّنا قد حوَّلنا عالمنا إلى ساحة حرب بين الإخوة، وصارت مجتمعاتُنا واحاتِ صراعٍ وعراك. لقد صار قلبُنا ضجيجًا مستمرًّا، يشتاق إلى قليلٍ من السلام يطرد منه الخوف والقلق من غدٍ مُظلم. حوَّلنا حقيقتنا من حقيقةٍ بشريّة خلقها الله لتكون عائلة، إلى جماعاتٍ متخاصمةٍ، متقاتلة، يدفعها الطمعُ والحقدُ ورفضُ الاختلاف.

"المسيح نقض جدار العداوة" فيما نحن هنا نباشر بناء جدرانٍ جُدد! فهل يمكننا أن نعيش دون الاعتماد على الضمانة التي تحمي كياننا وحياتنا؟ هل لرسالة القدّيس بولس إلى أهل أفسس أن تقول لنا شيئًا، نحن الذين حاوطتنا الجدران غير المرئيّة، معتقدين أنّها تحمينا، غير آبهين بِكَمْ من الوهم تحمل هذه الجدران وكم باتت سجنًا لنا؟

١. جدار العداوة قديمٌ قِدَم البشريّة

لقد جاء الرب يسوع بالجسد ليُزيل آثار عداوةٍ مزدوجة: عداوة بين الإنسان والله قد بدأت بعصيان آدم على الله، كما ورد في سفر التكوين (تك ٣)؛ وعداوة بين الإنسان وأخيه، قد بدأت حينما قام قايين على أخيه هابيل وقتله (تك ٤). وظلّت هذه العداوة المزدوجة تطغى على البشريَّة عَبْرَ الأجيال، وتُثقِّل على ضمير الإنسان في جميع أنواع نشاطه حتّى في صميم عبادته أمام الله، فنرى هيكل أورشليم يحمل آثارها في صميم نظامه المعماري: "وجعل سليمان حجابًا يفصل قدس الأقداس مسكنَ الله عن أروقة الشعب، لأنّ الخطيئة كانت لا تزال تفصل

الإنسان عن الله. وجعل حاجزًا يفصل بين أروقة اليهود ورواق الأمم، رمزًا للعداوة التي كانت تحجز الإنسان عن أخيه! وظلّ هيكلُ أورشليمَ العظيمُ الذي بناه سليمانُ بنُ داود قائمًا من جيل إلى جيل، ينتظر مَنْ يشقُّ حجاب الخطيئة ليُصالح الإنسان مع الله، ومَن يهدم الحاجز الفاصِلَ بين اليهود والأمم ليرفع العداوة بين الإنسان وأخيه"[1].

٢. صليب المسيح سرّ المصالحة

استمرّ هذا الوضع إلى أن جاء الرب ورُفِعَ على الصليب ليُصالح الإنسان مع الله، وليُصالح الإنسان مع أخيه. فمجرد منظر الصليب يُعبِّر تعبيراً بليغاً عن سرِّ المصالحة المزدوجة التي تمَّت بواسطته. فالفرعان الأفقيان يُشيران إلى مصالحة كل إنسان مع أخيه الإنسان؛ والفرعان الرأسيان يُشيران إلى مصالحة الإنسان مع الله.

لقد جاء الرب ووقف عند الحجاب الفاصل بين البشرية والله: "آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم" (أش ٥٩: ٢)، وعند السياج المتوسط بين اليهود والأُمم (أف ٢: ١٤)، واشتعلت في جسده نيران هذه العداوة المزدوجة، وتخضَّب جسده بالدم ثمناً لنقض العداوة. وهكذا صار صليب الرب قوة مُصالحة تبتلع كل عداوة وتُلاشيها.

لقد وقف الرب في الوسط مرفوضاً من اليهود ومن الأُمم كليهما. فالأُمم، ممثَّلين في بيلاطس، قد صلبوه بحجة أنه ملك اليهود؛ وأما اليهود فقد تبرَّأوا منه صارخين: "ليس لنا ملك إلاَّ قيصر" (يو ١٩: ١٥). وهكذا وقف الرب في الوسط مرفوضاً من الطرفين، حتى يدفع بحياته ثمن المصالحة بينهما. وهكذا أيضاً عُلِّق بين الأرض والسماء كأنْ ليس له مكان لا على أرضٍ ولا في سماء .فالأرض رفضته: "مرفوضاً من الناس" (١بط ٢: ٤)، والسماء تخلَّت عنه: "إلهي إلهي، لماذا تركتني؟" (مت ٢٧: ٤٦). وهكذا باحتمال هذا الرفضِ المزدوجِ استنفد الرب في نفسه نيرانَ العداوة المزدوجة التي كانت مشتعلة بين الله والإنسان، وبين الإنسان وأخيه، وصار بصليبه سبباً للمصالحة الكلِّية.

٣. الوحدة في المسيح عبر الصليب

المتأمّل في نصّ أف ٢: ١١-٢٢ يُعاين للتوّ ثلاثة[2] موضوعات متكرّرة وملحوظة جدًّا:

---

[1] متى المسكين، الكنيسة الخالدة (برية شهيت، ٢٠٠٢)، ٨٤-٨٥.

[2] في الواقع هناك أيضًا موضوع رابع يتعلّق بثنائيّ زمنيّ: في الماضي "كنتم"/في الحاضر "صرتم". نجد هذا الثنائي في أف ٢: ١-١٠. آ٢ "كنتم أمواتًا"؛ آ٢ " سلكتم من قبل بحسب رئيس سلطان الجوّ"؛ آ٣ "نحن أيضًا جميعنا...كنّا بالطبيعة أولاد الغضب"؛ آ٤ "الله الآن"؛ آ٥ "قد أحيانا"؛ آ٦ "أقامنا وأجلسنا في السماوات في المسيح يسوع". في هذا النصّ نرى تحوّلنا من حقّةٍ هامدة إلى "أحياء في المسيح يسوع". كنّا قبلاً أمواتًا، أمّا الآن فأحياءٌ في المسيح. أف ٢: ١-٦ يركّز على البعد العمودي بيننا وبين الله: كنا أمواتًا أمام الله، أمّا الآن فنحن أحياءٌ أمامه. بينما أف ٢: ١١-٢٢ تركّز على البعد الأفقي. بمعنى آخر، يركّز على المصالحة في المسيح بين اليهود والأمم. كان اليهود والأمم مفصولين (أفقيًّا)، أمّا الآن فموحّدين في المسيح. آ١١ "سابقًا"، آ١٢ "كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح، مبعدين عن رعيّة إسرائيل، وغرباء عن عهود الوعد، لا رجاء لكم في العالم ولا إله". لكن في الآية ١٣ نقرأ: "أما الآن ففي المسيح يسوع أنتم الذين كنتم من قبل بعيدين (الأمم)، صرتم بدم المسيح قريبين".

(١) عبارات تشير إلى العداوة، والعزلة، والانفصال، وعدم التمّتع بأيّ امتياز: آ١١ "عدم الختانة"، آ١٢ "بدون مسيح...مُبعدين...غرباء...لا رجاء...لا إله"، آ١٣ "بعيدين"، آ١٤ "شعبَين...الجدار الفاصل...العداوة"، وفي الآية ١٦ من جديد "العداوة".

(٢) عبارات تعبِّر عن السلام، والوحدة، والمصالحة: آ١٣ "قريبين"، آ١٤ "سلامنا"، "الاثنين واحدًا" (شعبًا واحدًا بدلاً من اثنين)، "نقض الجدار الفاصل"، إبطال "سبب العداوة"، آ١٥ "خلق من الاثنين في شخصه إنسانًا واحدًا جديدًا، بإحلاله السلام بينهما"، آ١٦ المصالحة "في جسدٍ واحد"، قتل "العداوة بينهما"، آ١٧ بشرى "السلام"، آ١٨ "الوصول إلى الآب"، آ١٩ "لستم بعد غرباء ولا نزلاء، بل مدينة القدّيسين وأهل بيت الله".

ماذا لاحظنا حتّى الآن؟ نرى وضعًا محزنًا للغاية أصبح جميلاً جدًا. ننتقل من البُعد إلى القُرب؛ من الغربة إلى المواطنيّة في بيت الله؛ من العداوة إلى السلام والمصالحة، من الهاوية إلى النعيم!

(٣) القسم الثالث من الكلمات هو الذي سيجعلنا نفهم كيف يتمّ هذا التحوّل، أي كيف ننتقل من الهاوية إلى النعيم: آ١٣ "**في المسيح يسوع**"، آ١٤ "**هو** سلامنا"، "**هو** جعل"، "(**المسيح**) في جسده نقض الجدار الفاصل"، آ١٥ **المسيح** "خلق في شخصه إنسانًا واحدًا جديدًا"، آ١٦ **المسيح** صالح الجميع "مع الله في جسدٍ واحد، بالصليب، **المسيح** "قتل العداوة"، آ١٧ بمجيئه (**المسيح**)، "بشّر المسيح بالسلام"، آ١٨ وبواسطة **المسيح** "لنا الوصول إلى الآب"، آ٢٠ "**المسيح** نفسه هو حجر الزاوية"، آ٢١ **في المسيح** "يتماسك البناء كلّه"، آ٢٢ **في المسيح** نحن "مسكنٌ لله في الرّوح".

من يقودنا من الهاوية إلى النعيم؟ **المسيح!** وكيف يفعل ذلك؟ من خلال ذبيحته على الجلجلة. إن كان المسيح هو مفتاح هذا النصّ من رسالة القدّيس بولس الرسول إلى أهل أفسس، فهو مفتاح خلاصنا، وسلامنا، وحياتنا، ووجودنا. المسيح هو مفتاح كلّ شيء!

٣. ١ كنتم بعيدين...صرتم قريبين (أف ٢: ١١–١٣)

من ليسوا بعبرانيِّين من حيث الولادة (آ١١)، كانوا يعيشون قديمًا في بليّة. فالآية ١٢ تُوجِزُ حالتهم المحزنة: "كانوا بدون مسيح"، مُبعدين عن كلّ حقوق الشعب المختار، وبالتالي، "بلا أمل وبلا إله في العالم[٣]". فعلى الوثنيّين ألا ينسوا أبدًا أصلهم المتواضع: كانوا مُبعدين. لماذا؟ لأنّهم ليسوا بيهود.

[٣] كانوا يعيشون في العالم الذي خلقه الله ولم يعرفونه: "بلا إلهٍ في العالم" (أف ٢: ١٢). "إذ معرفة الله ظاهرة فيهم، لأنّ الله أظهرها لهم، لأنّ أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مُدرَكةً بالمصنوعات، قدرته السرمديَّة ولاهوتيّة، حتّى إنّهم بلا عُذر. لأنّهم لما عرفوا الله لم يُمجّدوه أو يشكروه كإله، بل حمِقوا في أفكارهم، وأظلم قلبهم الغبيّ. وبينما هم يزعمون أنّهم حكماء صاروا جهلاء. وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى، والطيور، والدّواب، والزّحافات...وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهنٍ مرفوضٍ ليفعلوا ما لا يليق" (روم ١: ١٩–٢٣، ٢٨؛ راجع ١ تس ٤: ٥).

قال يسوع للسامريّة – حسبما جاء في إنجيل يوحنّا: "الخلاص هو من اليهود" (يو ٤: ٢٢). في رسالته إلى الرومانيّين، تكلّم بولس في عدّة نصوص عن امتيازات اليهود، نذكر منها اثنين: "إنّ أوّل فضلٍ لهم (أي اليهود) هو أنّهم اؤتُمنوا على كلام الله" (روم ٣: ٢ب)؛ "هم بنو إسرائيل، ولهم البنوّة والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والوعود، ولهم الآباء، ومنهم المسيح بحسب الجسد..." (روم ٩: ٤-٥). كانت امتيازات اليهود هائلة، والوثنيّون كانوا غرباء عن كلّ هذا.

نعلم من العهد القديم، أنّ الله، بإرادته الحرّة والمطلقة، اختار إبراهيم وجعل منه أبًا لشعب إسرائيل، الذي أعطاه "الوعود والعهود". وعن هذه الوعود والعهود كان الوثنيّون مُبعدين[٤].

لكنّهم لم يعودوا كذلك: "لكنّ الله" (أف ٢: ٤) خلصّهم وهم محكومٌ عليهم، أولاد الغضب، مُستعبدين من الشيطان، كسالى، موتى... هناك شيءٌ مماثل في ٢: ١٣ "كنا مبعدين، أجانب، غرباء عن الوعد، يائسين، ولكن الآن "لم يعودوا كذلك"، لم يعودوا بلا رجاء وبلا إله. لماذا؟ لأنّهم "بدم المسيح صاروا قريبين".

"لستم بعد غرباء، بل أقرباء... في المسيح... بواسطة دمه!". عبروا من اليأس إلى الرجاء الأبدي، إلى "الفداء الأبدي"، بحسب كلمات الرسالة إلى العبرانيّين: "دخل قدس الأقداس مرّةً واحدة، لا بدم التيوس والعجول، بل بدمه هو، فحقّق لنا فداءً أبديًّا" (عب ٩: ١٢). كيف؟ بواسطة دم الحمل. مستحقٌّ هو الحمل! لكنّ دم المسيح لم يجعلهم فقط قريبين من الله (عموديًا)، بل وحّدهم أيضًا مع اليهود (أفقيًا)، وهذا ما سنراه في النقطة التالية من موضوعنا.

٣. ٢ كنتم مقسومين...صرتم موحّدين (أف ٢: ١٤-١٧)

يسوع والسلام يسيران جنبًا إلى جنب. في الواقع، واحدٌ من الألقاب المجيدة التي يعطيها أشعيا للمسيح في ٩: ٥ هو لقب "أمير السلام". أيضًا في ٥٣: ٥ تنبأ عن خادم الربّ الذي "تأديبُ سلامنا عليه". عمّا تنبأ أشعيا؟ أنّ بعد ثمانية قرون سيُجرَح خادم الربّ لأجل معاصينا، وسيُسحق لأجل آثامنا، وتأديب سلامنا سيكون عليه وسنُشفى بشدخه.

ولادة يسوع نفسها رافقتها بشرى السلام إن كان من النبي زكريّا، الذي استشهد به لوقا في إنجيله في ١: ٧٩ "ليضيء على الجالسين في ظلمة الموت وظلاله، ويهدي خُطانا إلى طريق السلام" أو في لو ٢: ١٤ من خلال جمهور الجند السماوي: "المجد لله في العلى، وعلى الأرض السلام، والرجاء الصالح لبني البشر".

[٤] مُبعدِين بمعنى اليأس التامّ، الدينونة الأبديّة، وبحسب ما جاء في أف ٢: ١٢ "بلا رجاء وبلا إله".

في يو ١٤: ٢٧ يسوع يستودع السلام لرسله، وفي يو ١٦: ٣٣ يسوع يتكلّم ليكون في رسله السلام. في روم ٥: ١ يعلن بولس عن تتميم نبوءة أشعيا عندما يؤكّد: "إذًا، فبما أنّنا بُرِّرنا بالإيمان، صار لنا سلامٌ مع الله بربّنا يسوع المسيح". يسوع هو "ملك السلام"، "حامل السلام"، ولكن ليس هذا فقط، يسوع "هو السلام" (أف ٢: ١٤).

الآن لمن الواضح أن نقول أنّ يسوع هو الذي يصالحنا مع الله (البعد العمودي). لكن في الآيات ١٤-١٧ هناك تركيزٌ قويّ على يسوع سلامنا الأفقي، بين البشر، وتحديدًا بين اليهود والأمم. وذلك في الآية ١٤ يسوع "هو سلامنا، هو جعل من الاثنين (الشعبين) واحدًا". يسوع وحّد اليهود وغير اليهود. وتتابع الآية ١٤ "وفي جسده نقض الجدار الفاصل بينهما، أي العداوة".

نرى في الفصل الثاني من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس، أنّ الآيات الستّ الأولى تتحدّث عن إلغاء العداوة العموديّة مع الله. في هذه الآيات رأينا كيف الله، برحمته، حوّل الناس المتمرّدين، "لأنّنا نحن صنعه، قد خُلِقنا في المسيح يسوع للأعمال الصالحة، التي سبق الله فأعدّها لكي نسلك فيها" (أف ٢: ١٠). ولكن كان هناك أيضًا عداوة أفقيّة بين اليهود والأمم.

إنّها تتعلّق بـ "شريعة الوصايا بما فيها من فرائض". الشريعة، بحسب روم ٧: ١٢ "مقدّسة، والوصيّة مقدّسة وعادلة وصالحة". فلا شيء عاطل في الشريعة. الله هو الذي أعطاها لموسى، وهي صالحة. لكنّها كانت فقط كالمرآة التي تُري الإنسان خطيئته ولكنّها لا تعالج الإثم ولا تشفي الإنسان. لذا أنشأت الشريعة عقبةً لا يمكن لإنسانٍ أن يتخطّاها وحده. هذه العقبة لم تكن عموديّة فقط بين الله النقيّ بلا حدّ والإنسان النجس، إنّما عقبة أفقيّة لا يمكن التغلّب عليها، بين اليهود، شعب التوراة، وباقي الشعوب.

في القرن الثاني ق.م.، وصفَ رجلٌ يهوديّ هذا الوضع المأساويّ، في الرسالة المسمّاة خطاب أرستا، العائد إلى سنة ١٣٩، قائلاً: "مشرِّعُنا...سيجَّ حولنا بأسوارٍ لا يمكن اختراقها، وبجدرانٍ من الفولاذ حتّى لا نختلط بأيّ شكلٍ من الأشكال بالشعوب الأخرى"[٥].

مهمّة الفصل هذه كانت مهمّة في العهد القديم، ولكن ليس الآن. لأنّ المسيح نقض هذا الجدار الذي كان يسبّب العداوة بين اليهود والأمم. بعبارةٍ أخرى، شريعة موسى لم تعد صالحة، فهم بحاجة إلى من هو ربّ الشريعة وربّ موسى ليخلّصهم. فلن يحتفلوا بعد الآن بتكرار الشريعة، ولن يقدّموا ذبائح من بعد، ولن يتبعوا عشرات التشريعات الاحتفاليّة. المسيح أتمّ كلّ شيء "ناقضًا الجدار الفاصل بينهما". لماذا؟ ليجعل من اليهود والأمم كيانًا واحدًا.

[٥] الرسالة إلى أرستا، كما وردت في P. T. O'BRIEN, *The Letter to the Ephesians* (Grand Rapids, MI 1999), 196, n 165

المسيح "سلامنا" (أف ٢: ١٤): لم يعد اليهود والأمم معادين لبعضهم البعض، بل أصبحوا شعبًا واحدًا: "جعل الاثنين واحدًا" (أف ٢: ١٤). المسيح "نقض حائط السياج المتوسّط" (أف ٢: ١٤)، المشَار إليه بحائط الهيكل، الذي كان يفصل بين دار الوثنيّين ودار اليهود. الوثني الذي يتجاوز هذا الحائط كان يقتله اليهود[٦]. حاجز الهيكل هذا كان يُذكِّر الجميع، بصورةٍ رمزيّة، أنّ اليهود يمتلكون الشريعة التي لم ينلها الأمم. كان يذكّر أيضًا بأنّ اليهود كانوا مع الله بينما الأمم كانوا بعيدين. وبذلك، يُتاحُ للوثني التقرُّب من الله فقط إن أصبح يهوديًّا.

والآن، لا بدّ لي مِن استطرادٍ واجب. هل يعني إبطال الشريعة (أف ٢: ١٥)، في العهد الجديد، أن أفعل ما يحلو لي؟ هل يعني، على سبيل المثال، أنّ الوصيّة السابعة من الوصايا العشر "لا تزنِ"، لم تَعُد سارية المفعول؟ كلاّ، ثمّ كلاّ! في ١ قور ٩: ٢١ يذكّر بولس أنّنا الآن "في شريعة المسيح". وفي ١ قور ١٤: ٣٧ يذكّر بأن ما يكتب هو كرسول هو "وصيّة الربّ". الأشياء التي لم تعد قابلة للتطبيق، في العهد الجديد، هي الجوانب الاحتفاليّة، والأنظمة الغذائيّة (rvk)، وإلزام الناس بالاختتان. أمّا بالنسبة إلى الوصايا العشر، تسعٌ منها دخلت في العهد الجديد، ولكن وصيّة واحدة تخصّ السبت، وهي الوصيّة الرابعة، لا نحفظها[٧].

من المؤكّد أنّ الله يريد طاعتنا، في العهد الجديد، ولكنّها الطاعة الممكنة إنطلاقًا من موت المسيح، ومن قدرة الروح القدس، الذي، فقط في العهد الجديد، سكن في كلّ مؤمن. والله يريدنا أيضًا أنقياء من هذا العالم (يع ٣: ١٧؛ ١ يو ٣: ٣)، علاقاتنا صارمة مع غير المؤمنين، على سبيل المثال، في الزواج: "لا ترتبطوا بنيرٍ واحد مع غير المؤمنين: فأيُّ رباطٍ بين البرّ والإثم؟ أو أيُّ شركةٍ بين النور والظلام؟ وأيُّ وِفَاقٍ بين المسيح والشيطان؟ أو أيُّ قسمةٍ بين المؤمنين وغير المؤمنين؟ أيّ التئامٍ بين هيكل الله والأوثان؟ فنحن هيكل الله الحيّ! كما قال الله: "سأسكن بينهم وأسير معهم، وأكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا. لذلك اخرجوا من وسطهم، وانفصلوا عنهم، يقول الربّ، ولا تمسُّوا ما هو نجس، وأنا أقبلكم، وأكون لكم أبًا، وأنتم تكونون لي بنين وبنات، يقول الربّ القدير" (٢ قور ٦: ١٤-١٨)، لا بل أكثر من ذلك.

مهما يكن، يسوع قال نفس الشيء في يو ١٤: ١٥ "إن تحبّوني تحفظوا وصاياي". وبولس يلخِّص نظام العهد الجديد في ١ قور ٧: ١٩ عندما يقول: "فليست الختانة بشيء، ولا عدم الختانة بشيء، بل المهمّ هو حفظ وصايا الله!". هنا أُغلق الاستطراد حول الطاعة: لكن من الواضح أنّ الله يريد شعبًا مُقدَّسًا في كلّ من العهدين القديم والجديد.

لكن في العهد الجديد، مع مجيء المسيح، خلق الله إنسانًا جديدًا، موضوعًا جديدًا. نلاحظ ذلك في الآية ١٥ حيث المسيح فعل كلّ شيءٍ بموته "ليخلق الاثنين في شخصه إنسانًا واحدًا جديدًا، بإحلال السلام بينهما".

---

[٦] كان هناك أيضًا مؤشّرات للحدّ الأقصى للتجاوز. والوثني الذي يتعدّى الحدود كان يُقتل.

[٧] P. T. O'BRIEN, *The Letter to the Philippians*, 199, n 179.

هذه الإنسانيّة الجديدة، الكنيسة، جسد المسيح، تتجاوز خلافات العهد القديم[٨]. هذه الإنسانيّة الجديدة لا تأتي من الخارج لتحوّل الوثنيّين إلى يهود أو العكس بالعكس. فالإنسان الجديد يفوق الفريقَين، لأنّ الأمر لا يتعلّق بالوثنيّين الذين يصبحون يهودًا أو باليهود الذين يصبحون وثنيّين، بل باليهود والوثنيِّين الذين أصبحوا شيئًا آخر: مسيحيِّين بكلّ ما للكلمة من معنى.

لهذا السبب، يقول بولس، نشأت بالمسيح إنسانيّة جديدة (٢ قور ٥: ١٧؛ غل ٦: ١٥؛ أف ٤: ٢٤) تتألّف من يهودٍ ووثنيّين معًا. ففي الأسرةِ الإيمانيّة لم يعد التمييز موجودًا: "ليس يهوديٌّ ولا يونانيّ. ليس عبدٌ ولا حرٌّ. ليس ذكرٌ وأنثى، لأنّكم جميعًا واحدٌ في المسيح يسوع" (غل ٣: ٢٨)، "لا ختانة ولا عدم ختانة، لا أعجميّ ولا إسْكوتيّ...بل المسيح هو الكلُّ وفي الكلّ" (قول ٣: ١١).

في الرسالة إلى ديوجنس[٩] هناك تفسيرٌ رائع لما يعنيه القدّيس بولس في أف ٢: ١٥ عندما يدعو اليهود واليونانيّين، الذين يؤمنون بالمسيح، "إنسانًا واحدًا"[١٠]. في هذه الرسالة، يدعو الكاتب المسيحيِّين "سلالة جديدة" (kainw/|n tou/to ge,noj)، لا سلالة الإنسان الأمثل، ولا الإنسان الآرِيّ[١١]، إنّما السلالة الجديدة المؤلّفة من اليهود والوثنيِّين، الذين، غُفِر لهم، على حدٍّ سواء، وتوحَّدوا فقط بدم المسيح.

لكن للتوفيق أفقيًا بين اليهود واليونانيّين، الذين يؤمنون الآن، كان على المسيح أن يصالحهم عموديًا مع الآب. نلاحظ ذلك في الآية ١٦ حيث المسيح فعل كلّ شيء "ليصالحهما مع الله، كليهما في جسدٍ واحد، بالصليب، قاتلاً فيه العداوة بينهما". المصالحة العموديّة بين الله والإنسان هي الأساس اللاهوتي للمصالحة الأفقيّة بين اليهود واليونانيّين، الذين يؤمنون بالمسيح.

في الواقع، الآية ١٧ تضع القارئ في إطار الخلاص الواحد الذي تمّ سواءً لليهود أم للوثنيِّين. الوثنيّون الذين أُطلق عليهم إسم "البعيدين" عن الله، واليهود الذين كانوا "قريبين" منه، بُشِّروا بالسلام. فبتجسّده، وحياته، وموته، وقيامته، بشَّر المسيح بالسلام لكليهما.

---

[٨] راجع P. T. O'BRIEN, *The Letter to the Philippians*, 200

[٩] الرسالة إلى ديوجنس تُعتبر من الكتابات الرسوليّة، ويصفها البعض ضمن كتابات المناضلين أو المدافعين، وهي رسالة نفيسة نجهل تاريخ ومكان كتابتها، لذا يكتنفها الغموض.

[١٠] "لا وطن، ولا لغة، ولا لِباس، يُميّز المسيحيين عن سائر الناس. لا يقطنون مدناً خاصة بهم، ولا يتفرّدون بلهجة تَخرُج عن المألوف من اللهجات. أمّا تعليمهم فأبعد ما يكون عن تخيّلات واحلام عقول مترجرجة. يأبون أن يكونوا، كأمم كثيرة، دُعاةَ تعليم بَشريّ. تراهُم منتشرين في المدن اليونانية وغيرها، وفقاً لنصيب كلّ منهم. يُجارون عادات البلاد في المأكل والملبس ونمط الحياة ويمتثلون في آن معاً، لما في سلطنتهم الروحية من شرائع سامية. يُقيم كلّ منهم في وطنه، إنّما كغريبٍ مُضاف. يتمّمون واجباتهم كمواطنين، ويتحملون كلّ الأعباء كغرباء. كلّ ارضٍ غريبة وطنٌ لهم، وكلُّ وطنٍ أرضٌ غريبة. يتزوجون كسائر الناس ويتناسلون، إلاّ أنّهم لا ينبذون مواليدهم .يتقاسمون المأكل ذاته، ولا يشاركون في المضْجِع ذاته. إنّهم في الجسد، ولكنهم لا يَحيون حسبَ الجسد. يَصرفونَ العمرَ على الأرض، إلاّ انّهم مِن مواطني السماء. يمتثلون للشرائع القائمة، إلاّ انّ نمطَ حياتهم يسمو كمالاً على الشرائع. يتودّدون إلى الجميع، والجميع يضطهدونهم ويتنكّرون لهم ويحكمون عليهم، وبموتهم يربحون الحياة. إنهم فقراء، وبفقرهم يُغنونَ الكثيرين. يفتقرون إلى كلّ شيء، وكلُّ شيءٍ فائضٌ لديهم. يحتقرُهم الناس، وباحتقار الناس إياهم يتمجّدون. يَنُمُّون عليهم فيَتَبرّرون، يشتمونهم فيبارِكون، يُهينونهم فيكرِّمون. لا يعمَلون إلاّ الصَلاح، ويُعاقَبون كالسفلاء، وفي عِقابهم يتهلّلون، كأنهم يُولدون للحياة .يُصْليهِم اليهود حرباً كغرباءٍ وأعداء، ويضطهدهُمُ اليونان. وإن سألتَ مُبغضيهم عن السببِ، فلا يعلَمُون"، جورج صابر، "رسالة إلى ديوجنس. السرّ المسيحي" في Parole de l'Orient, vol.1, n°1 (1965), 97-118.

[١١] أي إنسان العرق الهندي الأوروبّي.

النتائج المترتّبة عن قبول أو رفض هذه الدعوة إلى السلام، يشرحها الإنجيلي يوحنا في ٣: ٣٦ "من يؤمن بالابن ينال حياةً أبديّة، ومن لا يُطيع الابن لن يرى حياةً، بل غضبُ الله يستقرُّ عليه".

"جاء بشّركم بالسلام" (أف ٢: ١٧). العبارة اليونانيّة εὐηγγελίσατο εἰρήνην تعني حرفيًّا: "بشَّر السلام". الفعل εὐαγγελίζω يتألّف من εὐ "الصالح"، ومن ἀγγέλλω الذي يعني "بشَّر"؛ فيصبح المعنى "التبشير بشيءٍ صالح". استشهاد بولس مأخوذ من أش ٥٧: ١٩ "أخلق للنائحين عنده ثمرة الشفتين: السلامُ السلامُ للبعيد وللقريب، قال الربّ، وأشفيه". جلب يسوع بشرى السلام السارّة بين اليهود والوثنيّين، بين الناس والله. الآن تكتمل العلاقة الجديدة مع الله بواسطة الروح القدس الواحِد، الذي حاز عليه الجميع: "لأنّ به لنا كلينا قُدومًا في روحٍ واحدٍ إلى الآب" (أف ٢: ١٨).

٣. ٣ كنتم مرفوضين...صرتم مقبولين (أف ٢: ١٨)

كلّ من اليهود واليونانيّين وجب عليهم أن يؤمنوا بالمسيح. وما هي نتيجة الإيمان بالمسيح؟ انفتاح أبواب السماء! لسنا بعد غرباء عن الله وبعيدين عنه. لماذا؟ نجد الجواب في الآية ١٨: "لأننا به نلنا نحن الاثنين في روحٍ واحدٍ الوصول إلى الآب"، وكذلك في أف ٣: ١٢ "الذي لنا فيه، أي بفضل إيمانه، الوصول بجرأةٍ وثقة إلى الله".

قبلاً كان الطريق مغلقًا، والآن، في المسيح، كلّ إشارات المرور خضراء، أُثيرَت جميع العقبات، ورُفِعَت الحواجز طُرًّا. بدأنا النصّ في الآيات ١١-١٣ في جوٍّ من الحزن، وعدم الرجاء، وبدون إلهٍ في العالم. أمّا الآن في الآية ١٨، فنجد أنفسنا أمام حضور الله الثالوثيّ الممجَّد، حيثُ نُحضَرُ أمام عرش الله، بواسطة المسيح، في الروح عينه[١٢].

٤. صالحكم المسيح بالصليب...فصرتم جماعة مقدَّسة (أف ٢: ١٩-٢٢)

"فلستم إذًا بعد غرباء ونزلاء، بل رعيّة مع القدّيسين وأهل بيت الله" (أف ٢: ١٩). يقول بولس "رعيّة مع القدّيسين". كان الوثنيّون، في إسرائيل القديم، ضيوفًا مؤقّتين، أمّا الآن فدخلوا ليصبحوا قسمًا من الشعب، وجزءًا لا يتجزّأ من الجماعة. "القدّيسين" الذين ورد ذكرهم هنا، هم اليهود الصالحون، إن كان في عصر يسوع أم بعده. "ويكون أنّ الذي يبقى في صهيون والذي يُترَكُ في أورشليم، يُسمّى قدّوسًا. كلّ من كُتب للحياة في أورشليم" (أش ٤: ٣)؛ «ويُسمّونهم: "شعبًا مقدّسًا"، "مفديّي الربّ"» (أش ٦٢: ١٢). "الشعب المقدَّس" (دا ١٢: ٧)، "أعطى الدين لقدّيسي العليّ، وبلغ الوقت، فامتلك القدّيسون المملكة" (دا ٧: ٢٢). "أحبّوا الربّ يا جميع قدّيسيه" (مز

[١٢] راجع أيضًا ١ قور ١٢: ١٣ " فنحن جميعًا، يهودًا ويونانيّين، عبيدًا وأحرارًا، قد تعمّدنا في روحٍ واحد لنكون جسدًا واحدًا، وسُقينا جميعًا روحًا واحدًا".

٣١: ٢٤)؛ "اتّقوا الربّ يا قدّيسيه" (مز ٣٤: ١٠)؛ "الربّ يحبّ الحقّ، ولا يتخلّى عن أتقيائه" (مز ٣٧: ٢٨). "وتكونون لي أناسًا مقدّسين" (خر ٢٢: ٣٠).

في أف ٢: ٢٠ تشبّه الجماعة بالبناء: البنيان الذي ينمو في هيكلٍ حيٍّ وروحيٍّ لله: "كونوا أنتم أيضًا مبنيّين كحجارةٍ حيَّة بيتًا روحيًّا، كهنوتًا مقدَّسًا، لتقديم ذبائح روحيّة مقبولة عند الله بيسوع المسيح" (١ بط ٢: ٥). لقد اتّخذت الجماعة مكان الهيكل اليهودي، وهي مكونّة ليس من الحجارة، بل من أُناسٍ أحياء. ولكي يرتفع البناء، على الأسس أن تكون سليمة: هذه هي الشهادة الرسوليّة التي تجد في يسوع معيارها وقوّتها. "حجر الزاوية" هو الذي يسدّ كلا الجانبين في الأساس، وكان ذات أهميّةٍ قصوى في البناء. استخدم حجر الزاوية لتحديد الأحجار الأخرى التي تصطفّ عليه. لكي يرتفع المبنى بشكلٍ جيّد، على جميع الأحجار أن تتوافق مع حجر الزاوية. يُستعمل حجر الزاوية، في الأساس، للربط بين جميع أجزاء البناء. "مبنيّين على أساس الرسل والأنبياء" (أف ٢: ٢٠)، أي هناك فئة واحدة: "الرسل الأنبياء"، الذين هم أنبياء حقيقيّون من جماعة تلاميذ يسوع.

فالأمر لا يتعلّق بأنبياء الكتب المقدّسة العبريّة وهذا واضحٌ من التسلسل: ١. الرسل، ٢. الأنبياء؛ وليس العكس. ولا يتعلّق حتّى بالأنبياء الذين يبشّرون بالإنجيل، لأنّ هؤلاء يمكنهم أن يكونوا موضوع شكّ (١ يو ٤: ١-٢). أما "الرسل الأنبياء"، فهم أساس الجماعة. إنّهم الرسل الذين، على كونهم ملهمين من الله، هم الأنبياء الجدد. رسالتهم لا يمكنها أن تكون موضوع جدل: "نحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، التي نتكلّم بها أيضًا، لا بأقوال تُعلِّمها حكمةٌ إنسانيّة، بل بما يعلّمه الروح القدس، قارنين الروحيّات بالروحيّات" (١ قور ٢: ١٢-١٣).

"الذي فيه كلّ البناء مركّبًا معًا، ينمو هيكلاً مقدّسًا في الربّ" (أف ٢: ٢١). هنا شيءٌ رائع. يقول بولس: من يدخل لينضمّ إلى الجماعة يصبح مسكنًا شخصيًّا لله بواسطة الروح القدس، الذي هو القوّة العاملة الممنوحة للجماعة. "الذي فيه أنتم أيضًا مبنيّون معًا، مسكِنًا لله في الرّوح" (أف ٢: ٢٢).

خاتمة

في عائلاتنا اليوم أضعنا السلام: خصام بين الإخوة، عراك بين الزّوجين، والطلاق بات القاعدة. صار الصبر صعباً، واحتمال نواقص الآخر مستحيلاً. بدأنا نفقد معنى التضحية: كنّا نضحّي لأنّنا نحبّ، فصرنا نهرب لأنّ التضحية تجعلنا نفضّل خير الآخر على سعادتنا.

في مجتمعنا زال السلام: كلّ شيء يفرّقنا، حتى ما هو غير أساسيّ. نتخاصم بسبب السياسة، وبسبب الدّين، وبسبب الثقافة. نتخاصم لأنّنا مختلفون، نرفض الاختلاف، نهرب منه، نظنّه خطراً علينا، وننسى أن

الاختلاف هو غنانا وثروتنا. نربّي أولادنا على منطق رفض الاختلاف، وكره الاختلاف، واحتقار ما هو مختلف، فنربّي في براءة طفل اليوم حقد رجل الغد.

عالمنا بأسره صار ساحة حرب شاملة، المئات من الحروب اليوميّة، منها المعلنة ومنها الصامتة، ولا أحد يتكلّم، لأن المصالح الخاصّة هي في الصمت عن الحروب والإبادات الجماعيّة. آلاف الأطفال يموتون كلّ يوم، بسبب الحرب، بسبب الجوع، بسبب الإهمال، وبسبب شرّ الإنسان.

لقد حوّلنا حشا المرأة، قدس أقداس الحياة، إلى مسرح عنف يطال الجنين، فلم تبق الحرب صراعاً بين أقوياء، بل صارت تطال الجنين البريء، بحجج كثيرة: حريّة المرأة، راحة الزّوجين، تنظيم النسل... فصار العنف طبيعة ثانية فينا، طبيعة تنافس طبيعتنا الحسنة الأصليّة[١٣]، وتسعى الى قتلها.

لقد فضّلنا رخاءنا الاقتصاديّ وقوّتنا النقديّة على خير الطبيعة نفسها، فدمّرناها: جبالنا تصير صحراء، الجليد يذوب، والأمواج تبتلع بلداناً بأسرها. أليست هي نتيجة حرب نشنّها على الطبيعة؟ نحرق أشجارنا، نلوّث هواءنا، بحرنا يضحي مكبّ نفايات، ونقول: لماذا المرض في العالم. هي نتيجة العنف نشنّه على كلّ ما هو حولنا، نريد إخضاعه وامتلاكه، نريد استعمال كلّ ما هو موجود، نرغب في أن نكون أسياد الكون، نريد أن نصبح آلهة.

فالرسول بولس يدعونا اليوم من خلال رسالته إلى أهل أفسس (٢: ١١-٢٢) إلى نقطة انطلاقٍ جديدة لكلّ واحد منّا، نقوم بفحص ضمير، لنرى كم يخزن كلّ واحد منّا من غضب وعنف وخصام، ونعود الى ذاتنا، نسمع المسيح يقول لنا: "لا كَما يُعطيهِ العالَمُ أنا أُعْطِيكُم السلام" (يو ١٤: ٢٧)، فسلام المسيح مختلف عن سلام العالم. سلام العالم هو نقض الحروب، أمّا سلام المسيح فهو التزام ومبادرة بحمل الصليب. سلام العالم هو سلام قائم على الخوف من شرّ الآخر، أمّا سلام المسيح فهو ثقة بالآخر. سلام العالم يسعى الى التسلّط، وسلام المسيح يجد كماله في خير الآخر وفي خدمته. سلام الأمم يقوم على الخوف من عقوبات اقتصاديّة وعسكريّة، أمّا سلام المسيح فأساسه شريعة المحبّة وحدها. سلام العالم هو سلام الأقوياء، لا يعير الضعيف اهتماماً، وسلام المسيح هو سلام الإله الّذي أصبح فقيراً ليعطي للفقير الأمل. سلام العالم هو سلام يسعى الى أجر وثمن، وسلام المسيح هو سلام مجّانيّ، يعطي لأنّه "يبذل نفسه في سبيل أحبّائه" (يو ١٥: ١٣)، الذين، "وهم خطأة، مات لأجلهم" (روم ٥: ٨).

الأخت دولّي شعيا ر.ل.م.

٣٠ تشرين الثاني ٢٠١٥

المجلّة الكهنوتيَّة

[١٣] "ورأى الله جميع ما صنعه فإذا هو حسنٌ جدًا" (تك ١: ٣١).